تفـــريغ

شرح السيرة النبوية

الشيخ
عرفات حسن المحمدي

قام بها
فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء

شرح السيرة النبوية

للشيخ الفاضل عرفات المحمدي

حفظه الله

ضمن الدروس المباشرة التي ينظمها

موقع ميراث الأنبياء

www.miraath.net

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم — وبعد:

ففي هذا اليوم إن شاء الله تعالى وفي كل ثلاثاء بإذن الله من كل أسبوع سنبدأ بدروس السيرة النبوية ونتكلم عن سيرته – عليه الصلاة والسلام – فمما لا شك فيه ولا ريب أن النبي – عليه الصلاة والسلام – كتب العلماء في سيرته وأحسنوا وأجادوا وتكلموا عن حياته وأيامه وسيرته – صلى الله عليه وسلم – ولا بد أن نتكلم عن شيء ومقدمة في طرائق العلماء في كتابة السيرة، وكذلك ما هي المصادر التي استقوا منها السيرة. فدرسنا إن شاء الله تعالى سيكون في هذا اليوم كمقدمة للكلام حول السيرة وحول مصادرها وكذلك حول ما كتبوا فيه من الخصائص والشمائل والدلائل فإن العلماء قد كتبوا في هذا كله فسيكون حديثنا بعد هذا إن شاء الله بعد أن نتكلم عن هذه المقدمة سنتكلم عن حياته – عليه الصلاة والسلام – عن مولده عن رضاعه عن فصاله إقامته في بني سعد، وكذلك ما عرض له هنالك من شق الصدر وغيره، وعن منشئِهِ وكفالة جده ثم عمه، وكذلك نتكلم عن سفره إلى الشام ورجوعه، وما وقع له في ذلك السفر ثم نتكلم عن أخبار الكُهان والرُهبان عن نبوته – عليه الصلاة والسلام –وسنتحدث أيضاً عن تزوجه بخديجة، وعن مبدأ البعث والنبوة ونزول الوحي، ونتكلم عن ذكر أصحابه السابقين الأولين الذين دخلوا للإسلام وكذلك ما حصل من الهجرتين إلى أرض الحبشة، وكذلك من انشقاق القمر والآيات والمعجزات التي حصلت للنبي – عليه الصلاة والسلام – ونتكلم أيضاً عن ما حصل له من الشعب وما دار من حصار من كفار قريش، وعن أمر الصحيفة وخروجه إلى الطائف ورجوعه إلى مكة وذكر العقبة وبيعة العقبة، وكيف أسلم الأنصار ونتكلم أيضاً عن الإسراء والمعراج وفرض الصلاة وأخبار الهجرة إلى المدينة ودخول – النبي عليه الصلاة والسلام – ونزوله فيها وبناء المسجد، وكذلك ننتهي إلى مغازيه وسيره وبعوثه وكيف نزل عليه الوحي وعمره – عليه الصلاة والسلام – وكتبه إلى الملوك وإسلام الوفود وكذلك سنتكلم عن حجة الوداع ثم وفاته – عليه الصلاة والسلام –.

www.miraath.net

فأقول قبل هذا كله أريد أن أتكلم عن المصادر التي نستقي منها السيرة:

النبي– صلى الله عليه وسلم – سيرته لا تجد إنساناً تكلم العلماء أو تكلم الناس عبر التاريخ كما تكلموا في سيرة النبي –عليه الصلاة والسلام – وفي حياته، لا تجد إنساناً أبداً عبر التاريخ والأزمنة تكلم الناس في حياته وفي أيامه وفي سننه بل وفي كل ما يخصه في حياته – عليه الصلاة والسلام – لا تجد إنسانا تكلموا كما تكلموا في – النبي صلى الله عليه وسلم – وأول هذه المصادر التي تكلمت في حياة – النبي عليه الصلاة والسلام – وفي سيرته هو القرآن الكريم، فلا بد لأي باحث يريد أن يصنف أو يتكلم أو يبحث في السيرة أن يجعل القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لماذا ؟ لأن القرآن الكريم فيه القدر العظيم من الأخبار الصحيحة في سيرته – عليه الصلاة والسلام – ولا يتطرق إلى القرآن الشك ولا يتطرق إليه الظن لهذا نجد أن الله – عز وجل – قد حفظ القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : 9] فالناظر إلى القرآن الكريم يرى إشارات كثيرة بل تصريح إلى سيرة – النبي عليه الصلاة والسلام – ويذكر الشيء الكثير من ذلك ولهذا سأضرب لكم أمثلة كثيرة على ذلك فيتكلم عن شمائله وأخلاقه بل وخصائصه بل ويتكلم عن دلائل نبوته يقول الله – عز وجل – عن يُتمه قال: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى﴾[الضحى : 7 : 6] وتكلم عن بدء نزول الوحي عليه فقال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق : 1] وتكلم كذلك عن حالة النبي – عليه الصلاة والسلام – عند تلقيه الوحي ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[القيامة : 16]وتكلم عن عداوة الأعداء وخصومة المشركين والكافرين له وتكلم عن اتهامهم لرسول الله – عليه الصلاة والسلام – فقال عز من قائل﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[الصافات:35 : 36] بل تكلم كذلك عن بشريته فقال سبحانه ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[الكهف : 110]وقال الله – عز وجل – ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾[الإسراء : 94]وتحدث عن أميته وأن الناس الذي بعث فيهم أمة أمية قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة : 2] وتحدث القرآن كذلك عن الذين اتبعوه ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف : 157]وتكلم عن غزواته كالغزوات الكبرى (بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر وفتح مكة الفتح العظيم، كما شمل التصريح ببعض

www.miraath.net

قضايا الجهاد وكيف أنه واجه الخصوم والأعداء بل قال بعض أهل العلم أن في القرآن ما يقارب المائتين والثمانين آية هي كلها في الغزوات، وخصص أيضاً القرآن الكريم قدراً وافيا كبيراً عن الكلام عن أساليب الدعوة وأساليب دعوة النبي – عليه الصلاة والسلام – كيف يدعو الناس ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل : 125] وقال له: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[الحجر: 95 : 94] وقال له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة : 73] وقال له ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[الأحقاف : 35] وتكلم سبحانه عن تأييده وعن نصرته فيما أراد أن يؤذيه به المشركون والكافرون وتعرضوا له بل القرآن ذكر هذه الأمة يعني ما ترك هذه الأشياء فقط بل تعدى إلى أمور في غاية الأهمية وهو تأييد الله – عز وجل – لنبيه ورعايته له في دعوته وجهاده فقال له ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال : 62] وقال ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾[التوبة : 40]وبين القرآن أن دينه كذلك ناسخ لجميع الأديان ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : 85] وقال ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران : 19] وتكلم القرآن أيضاً من جهة السيرة في قضية العلاقة التي كانت بين النبي – عليه الصلاة والسلام – وما حصل مع المشركين وما حصل مع المنافقين وما حصل مع أهل الكتاب فقال عن أهل الكتاب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾ [آل عمران : 64] وكذلك قال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة : 19] وتكلم عن المشركين وما حصل ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس : 15] وقال ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد : 43] إذاً القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي تكلم عن حياته وتكلم عن سيرته وفضائله وأخلاقه ورحمته بل وتكلم عن تهجده ودعائه وذكره وتسبيحه كل هذا تكلم عنه – سبحانه وتعالى – بل أن بعض أهل العلم قالوا حتى تكلم عن حالة النبي – عليه الصلاة والسلام – الباطنية التي تصور لنا حالته التي كان يشعر بها فقال له ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ [الكهف : 6] وقال

www.miraath.net

له ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ فهذه الآيات الكثيرة التي بينت كذلك حالته عليه – الصلاة والسلام – قد انفرد بها القرآن ولا تجدها بشيء من المصادر وعلى كل حال هو المصدر الأول الذي نتلقى منه السيرة، أما المصدر الثاني فهو كتب الحديث كتب السنة كتب الحديث الشريف التي قد شغلت السيرة النبوية منها الحيز الكبير، ولهذا نجد أن العلماء –عليهم رحمة الله – قد ألفوا الكتب التي قسموها إلى أقسام كثيرة فخصصوا أقساماً وأبواباً وكتباً عن جهاده – عليه الصلاة والسلام – عن مغازيه عن حياته عن سيرته، واستمر هذا المنهج عند المحدثين في كتبهم يذكرون بعثته وهجرته ومولده ويبوبون الأبواب على ذلك، ونستطيع أن نقول هذه الأخبار التي ذكرها المحدثون في كتبهم والتي نثق بها والتي كتبها الأوائل من العلماء فقد اتفق العلماء على أن أشهر هذه الكتب وأقدم هذه الكتب هو كتاب الإمام مالك – عليه رحمة الله – الموطأ، الإمام مالك ألف كتابه الموطأ وأورد فيه شيئا كثيراً من سيرته – عليه الصلاة والسلام – وأورد جملة من الأحاديث التي تتعلق بسيرته وأوصافه وأسمائه وبعده العلماء استمروا على هذا فها هو البخاري يكتب كتابه الصحيح ويورد شيئاً كثيراً من سيرته وفضائله وجهاده ويجعل كتاباً خاصاً في المغازي، وهكذا مسلم، وكذلك أبو داوود والترمذي وابن ماجة والدارمي وأحمد والمستدرك أو صاحب المستدرك الحاكم وهكذا، العلماء استمروا على هذا، هذه الكتب التي كتبها العلماء عليهم – رحمة الله – أيضاً فصلوها إلى أقسام كثيرة فمنها كتب الشمائل، ومنها كتب الخصائص ومنها كتب الدلائل وكذلك كتب الفضائل، وكل هذه الكتب مطبوعة بهذه الأسماء ومنها المفقود وهذه الكتب عندما ألفت على هذا التقسيم فيجب أن نعلم أن لكل تقسيم ولكل نوع مع من يخصه فالشمائل لها معنى والدلائل لها معنى وكذلك الخصائص والفضائل وسنتطرق إلى هذا بإذن الله – عز وجل – فنقول هنا أوسع كتاب لما ذكر بعض أهل العلم مسند أي بأسانيد وهو قد ذكر الشيء الكثير من السيرة هو مسند الإمام أحمد لعله من أوسع الكتب المسندة التي ذكرت الشيء الكثير من سيرته – عليه الصلاة والسلام – ومن حياته وكذلك من سننه وأيامه ثم تأتي بعد ذلك كما ذكرت لكم أن العلماء الذين ذكروا أو كتبوا في الحديث الشريف في سيرته – عليه الصلاة والسلام – منهم من قسم هذه الكتب فمنهم من جعل كتب الخصائص وكتب الشمائل.

www.miraath.net

فنبدأ أولاً ونتكلم عن هذه المعاني ولو بالاختصار فكتب الشمائل ماذا تعني الشمائل؟ ومن أول من ألّف في هذا العلم؟ أقول الشمائل عند العلماء يقولون هي التي تشتمل أي كتب الشمائل على أحوال النبي – عليه الصلاة والسلام – العملية في عبادته في هديه في دله في معاملته وغير ذلك، وتبدأ أو تتكلم منذ ميلاده ونشأته إلى نقله إلى الله – تبارك وتعالى – في أعلى جنته – سبحانه وتعالى – وهذا العلم أو هذا الصنف من كتب الشمائل من أعظم الكتب التي ألف فيه ولعله أول كتاب هو كتاب أبي عيسى الترمذي – عليه رحمة الله – كتابه الشمائل المحمدية ثم هذا الكتاب كما هو معروف كتاب مسند فقد ساق أبو عيسى الأسانيد وكذلك من هذه الكتب كتاب الشفاء للقاضي عياض وإن كان هذا الكتاب قد أخذت عليه بعض الأمور لكن في الجملة هو كتاب جمع فيه كثير من شمائل النبي – عليه الصلاة والسلام – وتكلم عن حقوقه عليه – الصلاة والسلام – وهذا الكتاب كتاب الشفاء للقاضي عياض فيه بعض الأمور التي انتقدها أهل العلم، ثم بعد ذلك يأتي كتاب الوفاء بأحول المصطفى للإمام ابن الجوزي وهذا على سبيل التمثيل أما كتب الدلائل وكذلك يقولون أعلام النبوة هذه الكتب هي التي تختص في بالآيات والمعجزات التي جعلها الله – تبارك وتعالى – في حق نبيه سواء كانت هذه المعجزات معجزات حسية أو معنوية وهي التي تظهر الحجة للتصديق بهذا النبي – عليه الصلاة والسلام – ولفضله وعلو منزلته عند الله – عز وجل –، أما كتب الخصائص فهي التي حوت، طبعاً كتب الدلائل كثيرة ونضرب مثال على ذلك ومن ذلكم دلائل النبوة لأبي داود السجستاني ودلائل النبوة لأبي بكر بن أبي الدنيا ودلائل النبوة لإبراهيم الحربي ودلائل النبوة لأبي الشيخ وبعضها مفقود يعني دلائل النبوة لأبي داوود وكذلك دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ودلائل النبوة لأبي ذر الهروي وأوسع هذه الكتب على الإطلاق هو كتاب الإمام البيهقي أحمد بن الحسين – عليه رحمة الله – كتابه دلائل النبوة من أوسع هذه الكتب هو كتاب البيهقي، وأما كتب الخصائص فهي التي قد حوت المسائل التي فيها مزايا خاصة من الناحيتين من الناحية التشريعية ومن الناحية التفضيلية أي التي فضلت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على غيره من الأنبياء والعلماء قسموها على أنواع فمن هذه الأنواع :

1– النوع الأول فيما يختص بالنبي – عليه الصلاة والسلام – في الدنيا يختص به فقط أي في الدنيا في ذاته فمن ذلكم أن الله – عز وجل – جعل محمداً – عليه الصلاة والسلام – أفضل النبيين واختصه – عليه

www.miraath.net

الصلاة والسلام – والدليل على ذلك أنه أخذ الميثاق أي الله تبارك وتعالى على الأنبياء آدم ومن بعده أن يؤمنوا به وينصروه لو ظهر محمد – عليه الصلاة والسلام – وهم أحياء فقد أخذ الله الميثاق عليهم أن يأتوا إليه ويبايعوه وينصروه ويؤمنوا به فهذا اختص به محمدا – عليه الصلاة والسلام – اختص به الله – محمدا عليه الصلاة والسلام – .

كذلك التبشير به في الكتب السابقة فقد بشرت به الكتب السابقة وذكرت شيئاً كثيراً من نعته ومن نعت أمته وبأنه من أرجح الناس عقلاً وأوتي كمال الحسن وذكروا كذلك الإسراء والمعراج من هذه الأمور التي اختص بها النبي – عليه الصلاة والسلام – وما تضمنته من اختراق للسماوات وكذلك صلاته بالأنبياء – عليه الصلاة والسلام – في بيت المقدس وكذلك رؤيته فيها من الآيات الكبرى وكذلك اطّلاعه على الجنة والنار كل هذا من الخصائص التي اختص بها النبي – عليه الصلاة والسلام – في ذاته في الدنيا.

2– أما النوع الثاني فيما اختص به هو – عليه الصلاة والسلام – وكذلك أمته وهذه الخصائص في الشرع أي في شرعه في الدنيا فمثال ذلك أليس الله – عز وجل – قد اختص النبي – صلى الله عليه وسلم – بإحلال الغنائم؟ ما كانت تحل للأقوام السابقين أو للأنبياء الذين سبقوه كذلك جعلت له الأرض مسجداً وتربتها طهوراً وكذلك باستقبال الكعبة وبالصفوف في الصلاة كصفوف الملائكة وبالجمعة وفي ساعة الإجابة وفي ليلة القدر وجعلت كذلك أمته خير الأمم وجعلت أخر الأمم ولا يهلكون بالجوع ولا بعدوٍ يستأصلهم كل هذا من الخصائص أيضاً التي اختص الله بها – تبارك وتعالى – النبي– صلى الله عليه وسلم – واختص أمته في شرعه في الدنيا.

وكذلك من الخصائص التي اختص الله – عز وجل – بها أو من الأنواع التي ذكرت في الخصائص.

3– النوع الثالث هو فيما يختص به في ذاته – صلى الله عليه وسلم – لكن هذا يكون في الآخرة مثال ذلك ضرب العلماء على ذلك أمثلة من ذلك أن الله – تبارك وتعالى – اختص النبي – عليه الصلاة والسلام – بأنه أول من تنشق عنه الأرض وأول من يفيق من الصعقة وكذلك قالوا أنه أول من يؤذن له في الشفاعة فهو أول شافع وأول مشفع – عليه الصلاة والسلام –، واختصه الله – عز وجل – بشفاعات خاصة بعد الشفاعة العظمى فمن ذلك أنه كذلك صاحب المقام المحمود وبيده لواء الحمد – عليه الصلاة والسلام –

www.miraath.net

وأول من يجيز الصراط وأول من يقرع باب الجنة وخصه الله بالكوثر وبالمقام المحمود وبالوسيلة وهي أعلى منزلة في الجنة، إذاً هذا من خصائصه التي اختص بها في ذاته – عليه الصلاة والسلام – لكنه في الآخرة .

4- كذلك من أنواع الخصائص ما خص الله – تبارك وتعالى – بها أمته في الآخرة من ذلكم لأن أمته كما جاء في بعض الروايات أنهم يأتون غُراً محجلين من آثار الوضوء وجاء في بعض الروايات أنهم أيضاً أول من تنشق عنهم الأرض بين الأمم ويقضي لهم قبل الخلائق وتغفر لهم أي بمن لا يشرك بالله شيئاً المقحمات الذنوب والكبائر وغير ذلك مما هو معروف أيضاً في كتب الخصائص وهو خاص في هذه الأمة في الآخرة.

إذاً ننتقل الآن إلى القسم الثالث وهو كتب الفضائل نحن تكلمنا عن كتب الشمائل وكتب الخصائص، بقي معنا كتب الفضائل.

فنقول كتب الفضائل أو ما يتكلم به العلماء في الفضائل ماذا يقصدون به؟

المراد به ما فضل الله – تبارك وتعالى – النبي – صلى الله عليه وسلم – على سائر الأنبياء وإن كانت الحقيقة هي مندرجة تحت الشمائل وتحت الخصائص لكن العلماء منهم من ألف في هذا وجعلها كتب خاصة فقبل ذلك أريد أن أتكلم عن الخصائص مَن مِن العلماء ألف في الخصائص؟ كثير من العلماء ألف في الخصائص من أوسع هذه الكتب لعلها كتاب السيوطي الخصائص الكبرى وكذلك ابن الملقن في (كتابه غاية السول في خصائص – الرسول صلى الله عليه وسلم –) وكثير من أهل العلم من ألف في الخصائص يعني ذكروا أيضا (كتاب شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول وخصائصه لأبي الربيع سليمان ابن سبع والسبكي) وكذلك (كتاب بداية السول في تفضيل الرسول وهذا الكتاب للعز ابن عبد السلام) وكذلك (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) وهو الكتاب الذي ذكرته أنفاً هو كتاب السيوطي الخصائص الكبرى اسمه (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) وهناك أيضاً كتب (الأنوار في خصائص النبي المختار لابن حجر العسقلاني) وكذلك كتاب بعضها مفقود أي هذه الكتب منها هذا الكتاب كتاب الحافظ ابن حجر غير موجود وعلى كل حال إذاً هذه كتب ألفها العلماء في الخصائص والفضائل كما ذكرت لكم ما فضل الله عز وجل بها النبي – صلى الله عليه وسلم – على سائر الأنبياء لكنها في حقيقة الأمر هي مندرجة ضمن مباحث الشمائل والدلائل والخصائص ومن هنا ندرك الارتباط الوثيق بين هذه الكتب وهي تشكل

www.miraath.net

بمجموعها أي الخصائص وكتب الفضائل وكتب كذلك الدلائل تشكل وحدة كاملة متكاملة تتعلق بدراسة حياة – النبي عليه الصلاة والسلام – دراسة متأنية مستفيضة تتناول جميع الجوانب من خلال حياته الحميدة وشيمه المرضية – عليه الصلاة والسلام – وقد يقول قائل بماذا نميز هذه الكتب لو تلخص لنا الكلام في تمييز كيف أُميز هذه الكتب ؟ كتب الدلائل؟ وكتب الشمائل؟ نقول باختصار حتى نلخص الكلام السابق تمتاز هذه الكتب بأشياء فمثلاً كتب الدلائل والتي يقال لها أيضا أعلام النبوة هذه تمتاز في إيراد أي تورد كل ما يرشح مركب النبوة ويقوي دعوى النبوة من المعجزات من الآيات وإدخال ما تطمئن إليه النفس من الأخبار الواردة في الكتب السابقة من نعته وصدقه – عليه الصلاة والسلام – ومن نعت أمته هذه الأوصاف كلها الظاهرة والباطنة والعناية أيضاً بفضله – عليه الصلاة والسلام – يعني هذه الكتب لا تغفل عن هذه الأشياء إذاً كتب الدلائل تختص نضرب مثال انشقاق القمر فيها آية ودليل على نبوته – عليه الصلاة والسلام – وقس على ذلك يعني المنبر عندما تركه أو عندما ترك الجذع وانتقل إلى المنبر حن، حن هذا الجذع وبكى وهذه من الدلائل وقد تكلم العلماء في كتب الدلائل عن هذه، الشمائل بماذا تمتاز كتب الشمائل؟ تستوعب أوصاف – النبي عليه الصلاة والسلام – الخَلقية والخُلقية وتورد من نعوته – عليه الصلاة والسلام – من أدلة الكتاب والسنة وكذا ما مثل عن الصحابة من أوصافه – عليه الصلاة والسلام –

أما كتب الخصائص تمتاز ببيان أمور ما يختص به في شريعته عليه الصلاة والسلام وهذه الأمور خاصة أي بمعنى لا يسوغ الإتساء والإقتداء بها أو به عليه الصلاة والسلام فيها وهذه يعني من أجل فوئد الخصائص وأقوى مميزاتها يعني نضرب مثالاً– النبي عليه الصلاة والسلام – يحل له أن يتزوج أكثر من أربع نساء قد كان متزوج يعني كما جاء في بعض الروايات تسع وفي بعض الروايات إحدى عشر امرأة فهل يجوز لأمته أن تفعل هذا؟ لا يجوز الزيادة على أربعة نسوة لأن هذا قد اختص الله عز وجل به نبيه عليه الصلاة والسلام هذا على سبيل ضرب المثال، وقد ذكرت للنبي – عليه الصلاة والسلام – كثيرا من الخصائص في كتب الحديث بعضها قد لا يصح وبعضها قد يصح في كتب الفقه في أبواب النكاح وهي كثيرة إذاً هذا الفروق أو هذه الفروق هي التي ذكرها العلماء بين كتب الخصائص والدلائل والشمائل وهذا لا شك ولا ريب له تعلق كبير تعلق كبير بماذا ؟ بحياته – عليه الصلاة والسلام – .

www.miraath.net

بقي الأمر الأخير الذي أريد أن أتطرق إليه في مبحث السيرة أو في مقدمة السيرة وهو يعني قضية المحاولات في كتابة السيرة المعروف والمسلم به أن العلماء كتبوا في سيرة النبي – عليه الصلاة والسلام – فبعض هذه المؤلفات جاءت على سبيل الاستقلال وبعض هذه المؤلفات تأتي ضمناً فالمسلمون أولوا أحاديث النبي – عليه الصلاة والسلام – وكذلك سننه وأيامه ومغازيه عناية فائقة فكتبوا المرويات والأخبار وحفظت في الصدور وكتبت في الكتب وكان القارئون والكاتبون منهم يدونون الخصائص من لدن عهد – النبي عليه الصلاة والسلام – إلى عهد التدوين وبالأخص ما كان يتعلق أيضا بسيرته – عليه الصلاة والسلام – ومغازيه فحصلت هناك أطوار ومراحل مر بها علم السيرة النبوية يعني من طور الرواية الشفوية إلى التصنيف إلى الكتابة لكن لكثرة الأسماء والأعلام وطول الفترة فقد بدأ العلماء يكتبون في الطبقات ويؤلفون فيما كتب أو سُمي بالطبقات ومن ذلك الطبقات الكبرى لابن سعد، وبعض العلماء يعني كتاب الطبري أيضا في التاريخ، وبعض العلماء يفرد كتابا خاصاً في السيرة في سيرة النبي – عليه الصلاة والسلام – وبعضهم يكون ضمنا يعني مثلا كتاب التاريخ للطبري الكتاب المشهور الكبير لم يخصه في سيرة النبي – عليه الصلاة والسلام – وإنما ذكر تاريخاً عظيماً كبيراً وضمن هذا التاريخ تطرق إلى سيرة – النبي عليه الصلاة والسلام – وتطرق إلى حياته – عليه الصلاة والسلام – مثلا كتاب آخر فمثلا بعضهم ممن يخص المغازي فيكتب في المغازي فقط مثل الواسطي ألف كتاباً في مغازي – النبي عليه الصلاة والسلام – كذلك ممن خص السيرة النبوية مثل ابن إسحاق في كتابه العظيم السيرة النبوية ثم تلخيص وتهذيب ابن هشام لها ثم بعد ذلك من الكتب التي ألفت في السيرة ما يذكر سيرة النبي – عليه الصلاة والسلام – ثم يتطرق إلى حياة الصحابة ثم يتطرق إلى حياة العلماء ومن أشهر هذه الكتب كتاب الإمام الذهبي سير أعلام النبلاء فقد ذكر حياة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرته في أول كتابه ثم تطرق إلى حياة الخلفاء الراشدين ثم إلى بعض الصحابة أو كثير من الصحابة ثم إلى كثير من العلماء إلى زمنه عليه – رحمة الله – إذاً هكذا كان التدوين والكتابة في السيرة منهم من يفرد شيئاً خاصا ومنهم من يأتي ضمنا لكن كما ذكرت لكم الأصل في كتب السيرة أنها على هذا التقسيم منهم من كتب في الشمائل، ومنهم من كتب في الخصائص، ومنهم من كتب في الدلائل ومنهم من كتب في

www.miraath.net

الفضائل وبعض الكتب المسندة إنما أُسندت الأسانيد كمسند الإمام أحمد وفيها من حياته وسيرته ومغازيه الشيء الكثير .

إذاً نختصر ونقول : التأليف في السيرة النبوية في ذلكم الزمن لا سيما القرون الثلاثة مر بمراحل المرحلة الأولى هي قال العلماء تسمى مرحلة الرواية الشفوية وهذه يمثلها طبقات الصحابة – رضي الله عنهم – وأرضاهم وفيما أيضا يروي الراوي يروي خبر حادثة مفردة حفظتها ذاكرته في سياق مثلا حدث حصل سواء كان لغزوة غزوة بدر أو هجرة أو واقعة معينة هذه كانت المرحلة الأولى أن يأتي الصحابي ويذكر هذه المرحلة ويشاهد التابعي ويقول حصل له كذا وكذا هذه المرحلة الأولى، هذه المرحلة الأولى يمكن أن نطبق عليها كل ما ورد في الصحيحين من أصحاب النبي – عليه الصلاة والسلام – في حياته ومغازيه وما حصل له فهذه المرحلة قد يقول قائل بماذا تمتاز وبماذا تختص ؟ أنها جاءت من طريق الصحابة أنها مرويات قد تكون قصيرة، أنها أيضا قد تكون خلت من ذكر التفاصيل أما يعني ارتباطها قد يكون بأحكام شرعية أما أكثرها من القسم المرفوع أي الذي يرويه الصحابي عن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – وهكذا بدأت هذه المرحلة، ثم المرحلة الثانية في الكتابة والتقييد وكان هذا على شيء يسير وقليل مع سياقة الأسانيد ثم المرحلة الثالثة وهو التوسع في كتابة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وكما ذكرت لكم لا يكون هذا شيء خاصاً به قد يكتب في التاريخ ثم يأتي ويذكر سيرة النبي – عليه الصلاة والسلام – مثل كتاب هو من أشهر الكتب في هذا (كتاب البداية والنهاية لابن كثير) وقد تطرق إلى ذكر ما قبل النبي عليه الصلاة والسلام حتى وصل إلى حياته وتكلم عن سيرته ومغازيه حتى بعد ذلك تكلم عن ما حصل في القرون المتلاحقة إلى زمنه عليه رحمة الله أي في زمن ابن كثير رحمه الله، إذاً هذه المقدمة في هذا اليوم إنما كانت مقدمة تكلمنا فيها عن المصادر في السيرة وعن طريقة أهل العلم وعن الكتب التي ألفت أيضاً في هذا الفن وإن شاء الله تعالى بإذن الله سنبدأ في الأسبوع القادم نتحدث عن سيرته – عليه الصلاة والسلام – وعن نسبه الشريف وبهذا القدر كفاية ووفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

www.miraath.net